

التاريخ في سبر أبطال

ابراهيم لنكولن

هبة الاصراج الى عالم المدنية
للأستاذ محمود الحفيف

- ٩ -

يا شباب الوادي ! حذر اعدائ العظمة و
لنقها الأعلى من سيرة هذا العصى العظيم

وكان لنكولن يرى في هذا الطواف مدرسته التي يتلمس فيها
المعرفة وأي معرفة هو أحق بها من دراسة طباع الناس والوقوف
من كذب على أحوالهم بل والنفاذ إلى سرائرهم وخليجات نفوسهم ؟
أي معرفة هو أحق بها من هذه وهو في غد رئيس الولايات
ومحطم الأصفاة ؟

لذلك كان في طوافه إذا فرغ من عمله يغشى المجالس وينطلق
إلى البلاد القريبة فيسمع ويرى ، ويأخذ بقسط من الأحاديث ،
ويدلي بآرائه إذا عن له أن يبدى آراءه في أمر ويستفهم الناس
ويسألهم عن أمانيتهم ؛ وله مما يأتي إليه من القضايا هاد يرشده في
تطلعه وتقصيه

إن سمعت أمها القاري* أننى عرفت السيد تحسبن على فلا تصدق
إن سمعت أننى زرت قريبات ليلى في البصرة فلا تصدق
إن سمعت أننى ألقيت في البصرة محاضرة سمعها مئات أو ألوف
فلا تصدق

إن سمعت أن حاكم البصرة ودعنى على المحطة فلا تصدق
إن سمعت أننى عانقت عشرين نحلة في البصرة فلا تصدق
إن سمعت أن أنهار البصرة داعبتنى بالذئ والجزر فلا تصدق
إن سمعت بأن أسماك شط العرب قبلت يدي وخدني فلا تصدق
إن سمعت بأننى لم أنفق درهما واحداً في البصرة فلا تصدق
إن سمعت أن البصرة هدنتنى بعد ضلال فلا تصدق
إن سمعت أننى ودعت البصرة بالدفع السخين فلا تصدق
أمها القاري !

أما ما رأيت البصرة ، ولا رآنى أهل البصرة ؛
وشاهد ذلك أننى لا أزال في عقل ؛ ولو أننى رأيت البصرة
تخلبنى حسننها فأصبحت من المجانين
أمها القاري !
أما سمعت أننى اخترع الأفاصيص ؟ فلتنعرف أن زيارة البصرة
من تلك الأفاصيص
متى أعود إليك أيتها البصرة مرة ثانية ؟ متى أعود ؟
متى أعود ؟
« للحديث شجون »
زكى مبارك

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

احمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

التي ١٢ قرشا

ويظل هذا شأنه حتى ينتهي دور المحكمة فيعود إلى سبر تجفيلد وتنظر زوجه فإذا هو يدخل الباب وفي عينيه الحنين إلى زوجه وأولاده ، وفي أساريره من البشر بقدر ما في جيبه من المال ؛ ثم يدفع إليها بمظلة قديمة مهلهلة حائلة الصبغة يمسكها بعضها إلى بعض بخيوط ورقع ، ويأبى إليها حقيقة أخذها من رقعة بساط قديم بها من الأوراق ما ضاقت عنها جيوبه وما صغرت دونها قبته ، ويقبل على بنه فيرفعه على كتفيه وذراعه كالعملاق وهم فرحون يتسابقون إلى عاداته حتى انتضيع كلانهم فيما يثيرون من زباط ، وأهمهم تكظم الفيظ لهذا الخروج على النظام

وكانت مدرسته في المدينة إذا فرغ من قضاياه الكتب يستوحيا ، وإن له فيها لفنية ومتمعة . وما تلك الكتب التي يقرأ اليوم ؟ إنه شكسبير العظيم الذي رفع المرأة فانعكست فيها الطبيعة واختمت سافرة كأنهم ما يكون الوضع والذي مست ومضة من عبقريته القلب البشري فأثارت أكثر نواحيه ، وهو مولع منذ حداته بدراسة النفس البشرية والتور إلى أعماقها ، ومن غير شكسبير يهديه السبيل ؟ لذلك كان إذا تناول كتاباً من كتب القانون ساعة أو بعض ساعة ثم ألقاه عمد إلى مأساة أو ملهاة من آثار شكسبير فأكب عليها ونسى كل شيء سواها ؛ فإذا أتى عليها فكر وفكر وظل شاخصاً يبصره في ترى الأرض أو في لازورد السماء كأنما أخذته عن نفسه حال ...

وكانت له في بعض آثار يرون متعة ، ومن بينها قصته العظيمة « دوجوان » وهو بين هذا وذاك يقلب صفحات التاريخ العام وصفحات تاريخ بلاده يستزيدها معرفة بأحوال الأمم ويرى فيها خطى البشرية في شتى مراحلها . أو ليس الزمان يسير به ليضمه بعد سنوات على رأس أمته ؟

ومن عجب أمر هذا العصاى أنه تناول فيما تناول من الكتب كتب العلوم وأخذ يدرسها وقد جعل لها ساعات من فراغه ، فهذا علم النبات له نصيب من جهده ، وذاك علم الحيوان له نصيب ، ثم هذه الكهرباء نصيب من عنايته سطاً ليس باليسير !

ولكن فيم العجب ؟ وهل تضيق العبقرية عن شيء ؟ إني وإن كنت أسلم بما للبيئة من خطر وبما للميل النفسى من أثر في توجيه المرء ، أعتمد أن العبقرية إنما هي فوق ذلك ، وأن العبقرى

مهما تناول من الأعمال فأنما ينفذ إلى لبابها بقوة نفسه . وهذا لتكولن لو لم يكن المحامي أو رجل السياسة ما قعد به شيء عن أن يكون الشاعر الفحل ؛ أولو أنه أفرغ إلى العلم جهده وجمل للدراسة والتحصيل وقته لكان لنا منه العالم الفذ أو الفيلسوف المبتدع . ولقد تأنى له أن يقول الشعر في بعض المناسبات فجاء شعره صورة من نفسه تشمرك بساطة العظمة والسمو

وإنك لتحس الشعر في نفسه وراه ينظر إلى الحياة والناس — نظرة الشاعر ؛ ولكن خياله لا يطني على عقله كما أن عقله لا يأتي على نوازع قلبه . وإني أراه في ذلك أكثر الناس شهاً بجوت شاعر ألمانيا الأكبر ، ذلك الذى كان يجمع بين اللغة الخيالية والنظرة العلمية والحكمة العملية ...

وكان إبراهيم قد بلغ أشده واستوى ، وأخذت نظرته إلى الحياة والناس تزداد عمقا وهو في أول المقد الخامس ؛ وصار يحس كأن شيئاً يقلقه ، شيئاً خفياً لا يدرك كنهه يقلقه ويحرك نفسه وينقبض له صدره أحياناً ؛ فهل أخذت السياسة تدب في نفسه من جديد فهو يتأهب ويتحفز ؟

ولاحظ أصحابه أن أمارات الحزن التي ارتسمت على وجهه منذ حداته أخذت تزداد وضوحاً ، فهو على الرغم من عدوية روحه في أحاديثه وطلاقة بشره في قصصه ، تنطوى نفسه على كثير من الهم لا يعرف مبعثه ؛ وهو إذا خلا إلى نفسه فكر وأمعن في التفكير ، وقد ترّيد وجهه وانعقدت عليه كآبة مخيفة يترعج لها خاطر من يراه ؛ وكثيراً ما واثق صديقه هرنندن وهو على هذه الحال ؛ وكثيراً ما سمعه يغمغم بمثل أنين المحزون ...

وهو يدعى منذ زمن « أيب المعجوز » أطلقها عليه الناس وهو في ربمان فتوته وربيع حياته ، وذلك لما كان يظهر على وجهه من تجاعيد هي من أثر الهم لا من أثر السنين ؛ وكان يسره أن يستمع هذا الاسم الجديد كما كان يسره أن يسمعه يمدونه باسمه الآخر « أيب الأمين »

ما باله اليوم مهموماً وقد بسط الله له رزقه كثيراً حتى لقد باتت تجدى عليه المحاماة — على قناعة في الأجر — ما يريد على خمسمائة من الجنيهات كل عام ؟ أجل ما باله مهموماً وقد استطاع أن يلقى عن كاهله ذلك العبء الذى آده حمله زماناً ، فلقد خرج

من الدين الأهل؟ يا ويح نفسه من هذا الهم الدفين الذي يتزبد منه على الأيام...

ليس غير السياسة باقي بنفسه في غمرتها لتقوم أحداثها بين نفسه وبين همومها. ليس غير السياسة تشغله عن وساوسه وتباعد بينه وبين امرأته التي ما برحت تنفصه وتضايقه في غير موجب

إن زوجه تعيش اليوم من وراء كده في رعد؟ فهو باقي إليها كل ما تصل إليه يده لا يسألها إلا أن تدفع له ثمن ما يطلب من الأشياء وهي قليلة؛ وما كانت له بالسال حاجة وهو الذي لا يعرف أبهة المظهر ولا تفتنه شهوات الحياة. حسبه من المال ما يسد به رمقه ويستريح به جسده، وأمر ذلك موكل إلى امرأته؛ ثم ما يفرج به الكرب عن بعض الساكنين وهو يفعل ذلك في كثير من الأحيان على كره منها. أما هي فلا ترضى بغير فراهة المظهر وأناقة المنظر؛ تروح وتنفد في مركبة هي اليوم بعض ما تملك، وما رأى الناس زوجها في تلك المركبة قط؛ وتلبس من الثياب ما تحكي به أهل باريس، وتقتني من الأثاث ما تدل به على كثير من الزوجات... تفعل ذلك وإن كان زوجها ليطلع على الناس في حلق تطاول عليها المهد وقبعة متضعضة متفضضة؛ على أنها تراه في ذلك هو الملموم، فهي ما زالت تهيب به أن يغير من عاداته وأن يعنى بهندامه، وهو لا يحفل إلا بالنظافة، حتى أنها لم تجد بداً آخر الأمر من أن تسكت وهي كارهة...

ولقد كان يهزب من المنزل أكثر الوقت، فيقضي النهار كله في محل عمله أو يقضي طرقات منه في أنحاء المدينة في بعض المنتديات أو في بعض الحوانيت، يتحدث إلى هذا ويسأل ذاك عن حاله، ويستشير هؤلاء في أمر قضائي، ويعقد غيرهم حوله حلقة يتساقطون فيها الحديث، ثم يعود إلى منزله فيمضي الوقت في القراءة أو في ملاعبة أولاده؛ وإنه ليحذر في هذه الملاعبة أن تدخل زوجه الحجرة فجأة فتراهم يركبون ظهره وهو يزحف بهم على البساط، فتصرخ وتمكر عليهم صفوهم!

عجيب أمر تلك المرأة التي تحب بملها وتعلي قدره ثم هي لا تفتأ تمد له من أسباب الشحناء والشقاق ما يخيّل إليه أنها تبغضه، لولا أنه يعتقد أنها ما اختارته زوجاً — على الرغم مما وقع يومئذ منه في حقها — إلا لما تضمن من محبته والإعجاب به...

دخلت عليه مرة ومعه رجل من أصحابه، فسألته عن أمر كانت طلبت إليه قضاءه، فلما علمت أنه لم يقضه عنتته وولت عنقه فجدبت الباب وراها فأحدث حجة مزعجة؛ ونظر لتكولن إلى صاحبه وقد قرأ في وجهه الدهش، فقال وهو يتسم ليخفي بابتسامته ما به: إن الأمر هين، وإن هذه عادة امرأته مردها إلى حدة مزاجها ولن يكره ما فعلت بالباب قلده بكفكف من حداثها هذا طرف من حياة لتكولن في سبرنجفيلد بعد أن عاد من وشنجلتون، وبعد أن انتهت الدورة الثامنة اطواف الهيئة القضائية في تلك الأصقاع؛ وإنه ليتطلب مخرجاً من هذه المدينة وما كان له من مخرج إلا أن تستثيره السياسة من جديد..

وآن للسياسة أن تدعوه إليها، وقد لتلك الدعوة أن تجيء عن معضلة العبيد، فلقد بانت تلك المعضلة وهي كبرى المسائل القومية لامناص من مواجهتها إذ سارت تحمل في تضاعيفها كل ماعداها من المسائل

ازداد نراء أهل الشمال بسبب الصناعة، واتسع نطاق التعليم عندهم، وقوى نفوذهم وتسامت إلى الحياة نظرهم، لذلك شاعت في الشمال حركة الدعوة إلى تحرير العبيد وتناثرت أصوات الداعين واشتدت على الأخص حركة النادين بالأيصح بعد بانتشار العبيد في ولايات جديدة

وبقي أهل الجنوب أهل كسل وحول، لا تزال حياتهم تقوم على الزراعة، والزراعة عندهم تقوم على أيدي العبيد، وازداد طلب القطن فاشتدت الحاجة إلى العبيد؛ لذلك ازدادت في الجنوب حركة التمسك بالعبيد، واشتدت على الأخص حركة النادين بوجوب السماح للعبيد بالانتشار فيما عساه أن يضم إلى الاتحاد من ولايات

وماذا يخيف أهل الشمال من انتشار العبيد؟ إن للسألة وجهاً آخر إلى جانب الوجوه الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية، وجهاً لا يقل خطره إن لم يزد عن هاتيك الوجوه؛ وذلك أن التمثيل النيابي في أحد مجلسي الاتحاد، وهو المجلس الأدنى، كان قائماً كما رسم الدستور على قاعدة لسألة العبيد فيها دخل كبير؛ وذلك أن كل ولاية كانت ترسل إلى ذلك المجلس من الممثلين عدداً يصغر أو يكبر حسب عدد سكانها. ومن عجب الأمور أن العبيد، ولم يكن

طلبت ولاية واسعة في الشمال الغربي هي ولاية نبراس
كنساس إلى الاتحاد أن يضمها إليه ، فسرعان ما عادت مسألة
المبيد إلى الظهور كما عادت من قبل في عدة حوادث وآخرها
أخذ تكساس من المكسيك

عادت المشكلة وتفاقت ، فهذه الولاية تقع شمال خط عرض
٣٦ ومع ذلك قام رجال الحزب الديمقراطي يدعون إلى جعلها

ولاية من ولايات المبيد ١ ولا تسلم عما قام في الشمال إزاء ذلك

من هياج وغضب ونفور ، وهنا يخطو دوجلاس خطوته فيمان
أن قيام المبيد في ولاية أو عدم قيامهم أمر يجب أن يترك الخيار
فيه إلى الولاية نفسها ولا عبرة بعد ذلك برأي مجلس الاتحاد .

بذل دوجلاس كل ما في وسعه وهو يومئذ عضو في مجلس الشيوخ
حتى أصدر المجلس قراراً بذلك ، على الرغم من اتفاق مسوري
وعلى الرغم من تصايح أهل الشمال وانزعاجهم

وسرت في الشمال موجة من الهياج والسخط لن يصفها
كلام ؛ ورأي كل من له حظ من الفكر أن هذا القرار الذي
بذل دوجلاس ما في وسعه لاستصداره هو الجرة التي سوف
تنهض بعد حين فتندلع منها نيران الحرب الأهلية . ولقد كانت
هذه الخطوة من جانب دوجلاس ، وما أعقبها من حوادث ،
سبباً في عودة لتكوين كرة أخرى إلى ميدان السياسة وقام بين
الرجلين من جديد جلاد وصراع

الخصيف

« ينبع »

مجموعات الرسالة

نباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأمم المتحدة

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة

في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش في الداخل

وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشاً في الخارج

عن كل مجلد

لهم حق في شيء ، حتى في أنفسهم ، قد أقيم لهم وزن في هذا الباب
فقيس عدد السكان في الولايات بما يقطعها من بيض وعبيد على
أن يمد كل خمس من المبيد بثلاثة من البيض ؛ ومعنى هذا أن
انتشار المبيد يزيد عدد ممثلي الولايات الجنوبية في المجلس الأدنى
للإتحاد ؛ أما في المجلس الأعلى (مجلس الشيوخ) فكان يمثل كل
ولاية عضوان صغرت تلك الولاية أو كبرت ...

ولقد كان أهل الشمال في الأصل أكثر عدداً من أهل
الجنوب فكانت لهم بذلك أغلبية في المجلس ولكنها كانت أغلبية
صغيرة ؛ ولقد أخذ عددهم يزداد كما ذكرنا فظلت لهم الغلبة ؛
ولكن أهل الجنوب يريدونها أن تكون لهم ولن يتسنى لهم ذلك
إلا بانتشار المبيد

لذلك نرى أن معضلة المبيد كبرى المعضلات وأنها ناجمة من
عوامل أساسية ترجع إلى كيان الاتحاد نفسه ولن تكون السيطرة
فيه : لأهل الشمال أم لأهل الجنوب ؟ وهما قسمان متباينان ضمرت
بينهما عوامل البيئة ، هذا إلى ما في المعضلة من عناصر خلقية
إنسانية لها نصيبها من الخطر والاعتبار

ولما تقدمت بالاتحاد السنون أصبحت مسألة المبيد بحيث أن
أدنى اضطراب فيها يؤدي إلى زلزلة في هيكل الاتحاد كله ؛ ولقد
فطن قادة الرأي إلى ذلك من أمر بعيد ، وذلك حينما انضمت ولاية
جديدة هي ولاية مسوري إلى الاتحاد عام ١٨٢٠ ولتكوين يومئذ
في الثانية عشرة ، فلقد أصدر المجلس قراراً خطير الشأن عرف
باسم « اتفاق مسوري » ، ومؤداه أنه لا يسمح بانتشار المبيد
شمال خط عرض ٣٦ أعني أن هذا الخط يفصل بين الولايات التي
يسمح فيها بنظام المبيد والولايات التي يحظر فيها ذلك النظام
منذ ذلك اليوم بمعل الساسة على توطيد هذا الاتفاق وكان
من أكبر الداعين إلى مراعاته دوجلاس ذلك الذي رأينا منذ
أعوام يجلس إلى جانب لتكوين نائباً في مجلس مقاطعة ألينوس .
ومما يذكر له في هذا الصدد قوله : « إن هذا الاتفاق أبدى
وجوهري »

واقعد رأينا فيما سلف كيف كان دوجلاس ينافس أبراهام
وهو يمد عينيه إلى الهدف ، ورأينا كيف كان يأخذ الطريق على
منافسه في كل شيء . وها هو ذا اليوم وله في الحزب الديمقراطي
مركز الصدارة ، رجع البلاد رحة عنيفة بخطوة جريئة من خطواته